مُحمَّد نَجيب

□ رحلة المجد ، والشقاء

- ○ بعد ٥٤ سنة تجدَّد السؤال: هل كان «نجيب» قائد الثورة أو واجهة لها؟
- ○ عبد الناصر قال لـ«نجيب»: إنت عارف احنا ازاى جبناك .. ثم بدأت رحلة النهاية
- ○ رفض خطة لتهريبه، فأمضى ٣٠ عاماً في المُعتقل
- ○ ظلَّ حتَّى مَمَاته يُقارن بين رحيل الملك مُكرَّماً، وإقصائه عن رئاسة الجمهورية مُهاناً
- ○ لماذا استمر اعتقال نجيب بعد رحيل ناصر والسادات

كثـــيرة هي الصور، والحكايات في حياة أول رئيس لمصر بعد قيام الثـــورة فاللواء «محمد نجيب» الذي اختاره الثوّار رمزاً لحركتهم أو لانقلابهـــم – كما يحلو للبعض أن يطلق عليهـــا – هذا الرجل مات مرتين؛ الأولى عندما أبلغه «عبد الحكيم عامر» في ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٤ قـــرار مجلس قيادة الثورة بإعفائه من منصب رئيس الجمهورية، وهو القرار الذي مهدت له أزمة مارس التي اشـــتعلت بينه، وبين «جمال عبد الناصر»، ومجموعة الضباط الشبان.

ومع قـــرار الإعفاء تغيّرت كل الصور من حول «نجيب»، وتوارت صورة الرئيس «نجيب» بكل ما يمثله تاريخه العسكري منذ أن تخرج من الكلية الحربية عامٍ ١٩١٨ وكان أول دفعته مروراً بمواقع عسكرية رفيعـــة تقلدها، وصولاً لفوزه في انتخابـــات نادي الضباط التي كانت الرصاصـــة الأولى في معركة الثورة، وخلالها اســـتثمر الضباط الأحرار شـــعبية اللواء «محمد نجيب» في اختبار قوتهـــم، كما كانت معركة انتخابات نادي الضباط. ونتائجها الباهرة فرصة هيأها القدر لإعداد «محمد نجيب» للدور الذي قُدِّر له القيام به بعد أقل من سبعة شهور من وقوعها، وهو ما يشهد به المؤرخ العسكري، وأحد الضباط الأحرار جمال حمّاد.

محيط العذاب

صور وحكايات سجلها التاريخ بين مجموعة الوقائع التي سبقت الثورة والتي تلتها. وتلك التي أعقبت قرار إقصائه من رئاسة الجمهورية.

وقبل أن نغلق صفحات العزة والمجد. الشـــهرة والنفوذ. لندخل إلى ســنوات العذاب. والضنى في عمر «محمد نجيب» نتوقف قليلاً عند ســؤال طرحه«نجيب» في مذكراته حيث يقول: «إذا كنت قد أخطأت فإن خطأي لم يكن سوى قطرة ماء إذا ما قورنت بمحيط العذاب الذي غرقت فيــه منذ اليوم الذي خرجت فيه من قصــر «عابدين». ولمدة ثلاثين عاماً في معتقلي بـ فيلا «زينب الوكيل» بالمرج. لا أعرف ماذا فعلت حتى يحدث لي كل هذا؟

وهنا نتوقف قليلاً عند مجموعة من التســاؤلات يطرحها الباحث د. «ماجــد فرج» رئيس تحرير مجلة «مصر المحروســة» فيقول: هل كان «نجيــب» قائداً لمجموعة الضباط الأحرار بالفعل أو كان واجهة تستّروا وراءها استغلالاً لشعبيته العالية ضمن صفوف القوات المسلحة؟ هــل آمن بقضية «الأحرار» فخرج معهم ليقود عملاً رأى فيه مصلحة بــلاده؟ لماذا انقلب «محمد نجيب» على الملك، وهو الذي أقســم له يمــين الولاء والطاعة .. ألم يكن هو القائل عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢: .«حيــث إني لم أســتطع حماية مليكى وقــت الخطر فإني أخجل من ارتداء بذلتي العســكرية والســير بها بــين المواطنين لذا أقدم استقالتي.؟!

أســئلة عديدة المعارضون. والمؤيدون على السواء. وعلى رغم مرور كل هذه السنوات. لكن تلك الأسئلة لا تزال مطروحة بقوة كلما أعيد فتــح ملفات حقيقة الصراع بين «محمد نجيب». و«الضباط الأحرار». هذا الصراع الذي بدأ يظهر على السطح في نوفمبر عام ١٩٥٣ عندما قام

«نجيب» برحلة إلى بلاد النوبة. واستقبل استقبالاً حاراً نقلته وسائل الإعلام باهتمام كبير. وهو الأمر الذي استفز «صلاح سالم» وزير الإعلام، والثقافة. والذي كان مسئولاً أمام مجلس الثورة عن برنامج الدعاية للثورة، واستطاع «صلاح سالم» أن يؤلب مجلس قيادة الثورة على «نجيب» حتى أصبح العداء علنياً لدرجة أن «صلاح وجمال سالم» تهجّما على «نجيب» في الاجتماع الذي عُقد يوم الأحد ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٣. وكانت الجلسة شبه محاكمة لـ «نجيب»، وطلب منه «عبد الناصر» التخلص من بطانته التي تسيء إلى الثورة. ولكنَّ «نجيب» رفض: إلا أن «عبد الناصر» تحدَّث بحدة، ولهجة تهديد، وقال له: أنت عارف إزاي جبناك .. واحنا نيتنا صافية لأننا الذين فتحنا معك الموضوع. ولكنك تصر على أن تمضي في طريقك الانعزالي. ولكن «نجيب» أصر على موقفه. وانتهى الاجتماع دون التوصل إلى حل.

الإستقالة

بعد ذلك تم تهميش «نجيب». وأصبح كل أعضاء مجلس قيادة الثورة تقريباً يعاملونه معاملة لا تليق بسنه. ولا بمركزه حتى إن المجلس كان يجتمع دون علمه اما في مقر قيادة الثورة بالجزيرة واما فى منزل أحد الأعضاء، وكانت القشة التي قسمت ظهر البعير يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٤ حيث حضر «نجيب» إلى مقر القيادة لحضور الاجتماع الدوري لمجلس الثورة. وكان يُعقد كل يوم أحد أسبوعياً. وظل ينتظر في مكتبه. وكان باقي الأعضاء مجتمعين في مكتب «عبد الناصر» فلما أرسل «نجيب» أحد

رجاله يسألهم لماذا تأخَّروا في الحضور فما كان من «جمال سالم» إلا أن ثار على رجل «نجيب» وأخذ يسبه بأبشع الألفاظ. فعلم «نجيب» بالأمر، وغادر مقر القيادة. واحترم نفسه وقدم بعد ذلك إسقالته.

الثَّورةُ على الثَّورة

توالـت الأحداث من جانب ضباط الفرسـان الذين أرغموا مجلس قيادة الثورة على عودة «نجيب» بكل سلطاته. وبالفعل عاد «نجيب» ونادى بعودة الجيش للثكنات، وإقامة حياة نيابية، واستغل الموقف، واتصل بعدد من القوى السياسية، ومن هنا تعبَّأت نفوس أعضاء مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم «عبد الناصر» ضد «نجيب»، بل زاد غضبهم بعـد محاولاته تصفيتهم، وعودتهم إلى الثكنات، وهنا شـعر الضباط الأحرار أنه يريد السـيطرة على الجيـش، وأصبح من المؤكد أن على «نجيب» أو «ناصر» أن يُصفِّي أحدهما الآخر، وبدأ «عبد الناصر» يطبق فكرة «الثورة على الثورة»، وأنه على الثورة أن تستأصل خصومها بعد أن كشف كل وجهه الحقيقي.

وَساطة الملك سُعُود

في ذلك الوقت جاء الملك «سعود» عاهل المملكة العربية السعودية في زيارة إلى مصر، وكانت الأزمة في عنفوانها وشكا «نجيب» إليه من سوء معاملة أعضاء مجلس الثورة له. وتوسَّط الملك بين «نجيب» و«ناصر»، ولكن الأمور تطورت .. وفي يوم ٢٧ مارس ١٩٥٤ لجأ «نجيب» إلى الملك

«سعود» لحمايته، وطلب أن يسافر معه إلى السعودية عند مغادرته مصر صبـــاح يوم ٢٩ من مارس بعدما علم أن هناك ثورة شـــديدة عليه ونية لقتله. وعقد الملك «سعود» اجتماعا حضره «نجيب» و«ناصر»، و«عامر». وناقشوا الخلاف، وبناء على رجاء الملك «سعود» وافق «عبد الناصر» أن يســتمر "نجيب" في منصب رئيس الجمهورية. ورئيس مجلس قيادة الثورة، وفي ١٧ إبريل ١٩٥٤ تولى «عبد الناصر» رئاسة الوزارة، وتقلّص نفوذ «نجيب»، كما تولى «عبد الحكيم عامر» وزارة الحربية.

حادِثُ المَنْشِيَّة

بعد أن أمسك «ناصر»، و«عامر» بزمام الأمور. وتم التخلص من كل المقربين لـ «نجيب» أصبح «نجيب» مكتوف اليدين، واستســلم للأمر الواقع. واكتفى بمنصب رئيس الجمهورية، وظل الهدوء يسود العلاقة التي تربط «نجيب» بمجلس الثورة حتى توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤.. وفي ٢٦ أكتوبر وأثناء إلقاء «عبد الناصر» لخطاب بميدان المنشــية بالإســكندرية سمع دوي تسع رصاصات موجهة إلى «ناصر»، ولكنه نجا منها. وتبين بعد الحادث أن الجاني من الإخوان المســلمين، وذُكر في التحقيقات أن اللــواء «نجيب» كان على اتصال منــذ إبريل ســنة ١٩٥٤ بالإخوان، وأنــه كان يعتزم تأييد الانقلاب الإخواني. ودعوة الجمهور إلى الإذعان لحكومة الإخوان، وهكذا تمّت تنحية «محمد نجيب» من جميــع مناصبه وقرر مجلس قيادة الثورة تحديد إقامته.

الفيلاَّ المُعتَقَل

٢٩ عامــاً أمضاهــا الفريق أركان حرب «محمــد نجيب» - قائد الثورة وأول رئيس جمهورية فى مصر - في فيلاً «زينب الوكيل» حرم «النحاس» باشا بعد أن غادر قصر «عابدين» في هدوء مع عضو مجلس قيادة الثورة «حســن إبراهيم» حاملاً مصحفا، وتبعته سيارة واحدة، ووعد من «عبد الحكيم عامر» بأن هذه الإقامة لن تســتمر ســوى أيام قليلة. ويعترف «محمد نجيب» أنَّ الفيلاَّ يوم دخلها كانت عروســاً شابة حلوة نظيفة لامعة منسقة مثمرة نضرة لكنها مع الأيام، والسنين. وإهمال القائمين عليها وتغيير دورها من استراحة إلى مُعتقل، أصيبت مثله بأمراض الشيخوخة ؛ فالحشائش الشيطانية حاصرتها، الصدأ أكل أبوابها الحديدية الضخمة، الإهمال أحرق أشجارها المثمرة. وكتائب الحراســة حوّلت النخيل إلى وقود يتدفئون به في الشتاء، كما تحوَّل «الجراج» إلى مأوى لأفراد الحراسة، وقام «نجيب» نفسه بتحويل الدور الأرضــي إلى مخزن كبــير. لقد عاش «نجيب» في هذه الفيلاَ المعتقل، وهــو يحمل لقب رئيس جمهوريــة، وعلى رغم وجود خطة لتهريبه خارج مصر إلا أنه رفض بشدة، وظل يواجه أهوالاً إنسانية طوال تلك السنوات الحزينة في الفيلاً.. بعد أن جردها ضباط البوليس الحربي من الأثاث، والسجاد. والستائر. واللوحات ومن ثمار الحديقة أيضاً.

بل إنهم صادروا كل شــيء يخصه، ومنها مقتنياته الشخصية من أوراق خاصة و«نياشــين» وسيوف ونقود، كل شيء كان يضمه بيته.

وكل ما سمحوا به زوجته وأولاده وثلاث حقائب وشغّالة ! ! ولم تُمحَ من ذاكرة «محمد نجيب» طوال حياته المقارنة بينه ، وبين الملك «فاروق» عند رحيله ، والذي تم باحترام حيث عزفت الموسيقى السلام الملكي ، وبين الطريقة المهينة التي أقصي بها «نجيب» من رئاسة الجمهورية ، ويقول عن هذا اليوم : أحسست منذ الصباح أن شيئاً ما غير عادي سوف يحدث ؛ فقد شعرت بتراخي البوليس الحربي في تقديم التحية ، وعندما دخلت القصر فوجئت بصاغ من البوليس الحربي اسمه «حسين عرفة» . وكان ضابطاً في الحرس الملكي يوم خروج الملك ، فوجئت به ومعه ضابطان وعشرة جنود يحيطون بي ، حاصروني ، وهم يحملون مدافع رشّاشة فرحت أصرخ فيهم ، ابتعدوا عني وإلا جاء الحرس الجمهوري ، وتحول الموقف إلى مذبحة ، والواقع أنني لم أكن متأكداً أن الحرس الجمهوري سوف يتدخل لحمايتي ، والدفاع عني خاصة أنه تم تغيير طاقم الحرس ، ويبدو أنهم لم يكونوا يتوقعون مني ذلك فابتعدوا عني بالفعل .

المَوْتُ البَطيء

ويصف «محمد نجيب» الحال التي عاش عليها طوال سنوات اعتقاله بأنها «الموت البطيء» فيقول : ينطبق عليّ خلال السنوات التي عشتها قول «الميت الحي» . فقد كان من المحظورات أن أزور أي مريض في منزله أو في المستشفى ، وكذلك شراء لوازمي من أي مكان ، أو التردد على أية وزارات لعمل توكيل لمحام ألماني اختاره المصريون في

ألمانيا لقضية مقتل ابني «عبد العزيز» الذي حُرمت من استقبال جثمانه في المطار، بينما استقبلته في المقبرة في الوقت الذي شُيِّعت جنازته رسمياً في ألمانيا الغربية... لقد حرموني من أبسط حقوق الإنسان، فزوجتي «عائشة» ظلت مريضة لأكثر من عشر سنوات في منزل أخواتها بحلمية الزيتون، وأولادي لا يشاركونني مصاريف المنزل، ولو بعلبة كبريت حتى أصبحت حياتي جحيماً .. وتمر الأحداث متلاحقة، ومريرة لكن الأيام كانت تمر بطيئة في معتقل المرج. فيكتب «نجيب» كلماته الأخيرة قائلاً: أقترب الآن من النهاية، أحزم حقائبي استعداداً للرحيل، أنام على فراشي، وأقرأ على فراشي، وأجلس، وآكل على فراشي، أحيا أيامي الأخيرة مع أمراضي وشيخوختي، جسدي نحيل، شهيتي ضائعة. النوم يخاصمني، والأرق يرافقني، لا أتناول في الصباح سوى بيضة واحدة، أما الأدوية فلا حصر لها، في تلك الأيام التي يختفي فيها تأثير الجسد على البشر، ويبقى نفوذ الروح، ويبتعد الإنسان عن المادة، ويغطي نفسه بالشفافية، وينسى آلام الدنيا والسلطة، والمال، والولد. ولا يتذكر إلا الحق، والتسامح، والصدق، والخير . وقبل الوصول إلى محطة الرحيل أتذكر هذا الموقف الذي حكاه «نجيب» حين قال: «أكثر ما أثار ألمي وحزني حضور ابني الصغير إليّ يسألني في اهتمام شديد:

هل كنت رئيساً للجمهورية ؟

وابتسمت للصبي وأنا أداعبه قائلاً: .. نعم .. كنت أول رئيس جمهورية لمصر. ولكن ما الذي دفعك إلى السؤال؟.. هذا تاريخ مضى

وانتهى.. ، وهنا قدَّم لي كتاباً للمطالعة جاءت فيه هذه العبارة : «جمال عبد الناصر» هو أول رئيس لجمهورية مصر.

فقلت لصغـيري: لا تبتئس هذه إرادة الحاكم وليست إرادة الشعب الحقيقية ؛ فقد رفعت المطابع اسمي من كل الكتب ، ولم يعد ينشر مطلقاً اسم «محمد نجيب» في كتاب أو صحيفة حتى ولا في صفحة الوفيات .. لقد أحزنني هذا الأسلوب وهو إصدار حكم بالإعدام على اسمي بينما أنا مازلت حياً أعيش. لقد ظل «محمد نجيـب» يقيم في معتقل المرج ، ولم يتركـه إلا عندما أمر الرئيس «مبارك» بتخصيص شقة له.

وفي هدوء رحل «نجيب».. الفريق أركان حرب «محمد نجيب» أول رئيس جمهورية الذي مكَّنه القدر من كتابة مذكراته التي أدلى خلالها بشهادته .. رحل «محمد نجيب» لكن بقي سؤال لا يزال مطروحاً وملحاً.. لماذا اعتُقل «محمد نجيب» كل هذه السنوات؟.. وإذا كان السـبب هو خلافه مع «جمال عبد الناصر» فلماذا استمر اعتقاله حوالي ثلاثة عشر عاماً بعد رحيل «عبد الناصر» ، وعامين بعد رحيل «السادات» أيضاً؟!

مع عبد الناصر وبينهما الملك سعود

الملازم محمد نجيب

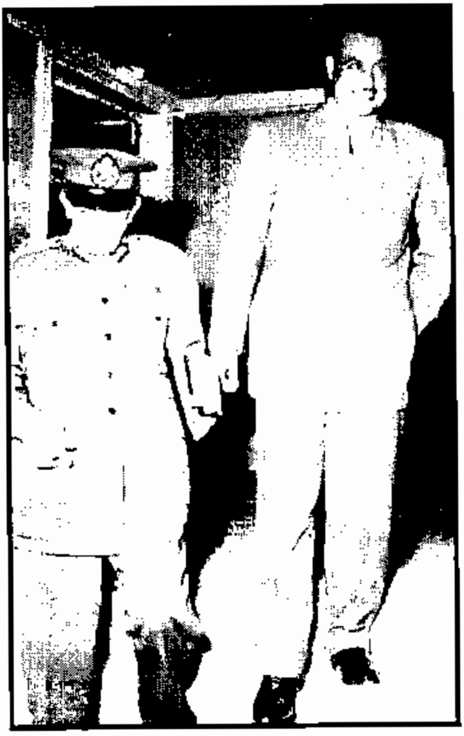

آخر صورة قبل الرحيل بأيام

عند مغادرته معتقل المر

نجيب ضابطا

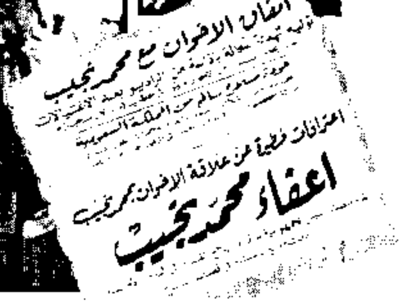
اتفاق الإخوان مع محمد نجيب

اعترافات خطيرة عن علاقة الإخوان بمحمد نجيب

اعفاء محمد نجيب

زيارة خاصة لمنزل عبد الناصر